

Provisions in Andalusia During the Emirate and Caliphate Period "(138-422 AH/756-1013 AD)

273

Keywords: Means of subsistence- wages- charity- donation- Andalusia- gifts- grants- Umayyad state- subjects.

كانت الأرزاق تجمع من أوجه عديدة ومنها: الجزية، والخراج، والفِيء، والضرائب، والعشور، وتُصب جميعها في بيت المال الأندلسي الذي يعتبر المصدر الرئيسي لدفع أرزاق موظفي الدولة، ومقره بمسجد قرطبة ويشرف عليه قاضي القضاة وكان يلقب بـ"شيخ الخَزَان" ⁽¹⁾، كما أن هناك شريحة كبيرة من المجتمع أعمالهم حرة ويعتمدون على أنفسهم في تحصيل أرزاقهم.

وكانت دار السكة في عصر الأمارة الأموية تصدر كل عام نقوداً بصورة منتظمة، وتسك في كل عام مائتي ألف دينار؛ يقول ابن حوقل: "أن سكة دار ضربت على الدينار والدرهم ضماها في كل سنة مائتا ألف دينار، ويكون هذا عن صرف سبعة عشر دينار ثلاثة آلاف ألف وأربع مائة ألف درهم؛ هذا إلى صدقات البلد وجباياته وخراجه وأعشاره وضماناته ومراصده وجواليه، وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة إليهم والصادرة عنهم ورسوم على بيع الأسواق" ⁽²⁾، ووصلت الجباية بالأندلس عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/796-821م) إلى ألف ألف دينار في السنة ⁽³⁾؛ وكانت تقسم تلك الأموال فيعطى جزء للجيش، وجزء للنفقات وقت الأزمات والنوائب، وجزء يخزن لوقت الحاجة ⁽⁴⁾، واختلفت نسبتها من عصر لآخر.

تفاوتت نسبة الأرزاق بين طبقات المجتمع الأندلسي حسب المهنة والمكانة الاجتماعية، فكانت الطبقة العليا -من الوزراء والقضاة وعمال المدن والجند وبعض الفقهاء والعلماء- الأكثر دخلاً في المجتمع الأندلسي، بل أهلهم مكانتهم الاجتماعية لحق اختيار مصدر أرزاقهم، ففي عهد الأمير الحكم الرضي (180-206هـ/796-821م) اشترط محمد بن بشير المعافري أن يكون رزقه من مال ألفي كشرط لقبوله منصب القضاء ⁽⁵⁾.

وتميزت هذه الطبقة عن باقي الطبقات بالثراء وأجورها المرتفعة، حيث كان رزق الوزراء عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ثلاثمائة دينار ⁽⁶⁾ يقول ابن حيان: "انتهت أرزاقهم لها في الشهر ثلاثمائة دينار وخمسين ديناراً بالموازنة" ⁽⁷⁾، بينما رزق وإلى السوق في عهده ثلاثين دينار في الشهر، ووالي المدينة مائة دينار ⁽⁸⁾ كما جعل لكل خازن من خزان ديوان الخزانة عشرين دينار شهرياً ⁽⁹⁾.

ولجأ بعض الوزراء إلى التقرب إلى الحكام بالهدايا لزيادة أرزاقهم، مثلما فعل الوزير أحمد بن عبد الملك ابن شهيد، فقد أهدى الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) هدية ثمينة لم يهدى أحد من ملوك الأندلس مثلها، فرفع الخليفة منزلته عن باقي الوزراء، واضعف له رزق الوزارة، وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية، وبلغ مصروفة إلى ألف دينار⁽¹⁰⁾.

وتمتع معظم القضاة في العصر الأموي بكل من السلطة والمال؛ حيث كأن البعض قادر على سد عجز الدولة من أموالهم الخاصة ولاسيما خلال الأزمات الاقتصادية، والدليل على ذلك عندما قام القاضي عنتر بن أفلح في إحدى سنين الجذب بالتبرع بكل ما لديه من حبوب ومؤن "فغيث الناس يومهم غيثاً عاماً"⁽¹¹⁾، كما قام قاضي مدينة المرية موسى بن أحمد المرسي بتفريق الصدقات على الفقراء والضعفاء بعد أن أحصاهم، فأطعم عشرون ألف ضعيف من ماله الخاص⁽¹²⁾.

وكان السبب الرئيسي لارتفاع أرزاق القضاة هو حرص الحكام على عدم تعديهم على حقوق الناس واستغلال مكانتهم السياسية؛ ولاسيما الوظائف المتعلقة بالأمور المالية كالوصايا والموارث، فعندما أقبل الأمير الحكم بن هشام على تعيين ألفقيه يحي بن يحي لتوليته أمور المسلمين، اعترض عدد من أعلام العلماء لكونه فقيراً، وقد تدفعه حاجته إلى التجاوز، رغم أن لديه من العلم ما يؤهله لهذا المنصب، ولذلك اقترح ابن الأمير الحكم-عبد الرحمن الثاني- أن يعطي للفقيه مبلغاً من المال ليغنيه عن التعدي على حقوق المسلمين، وبذلك أصبح مؤهلاً للمنصب⁽¹³⁾.

وكان العلماء وألفقهاء الذين اختيروا لمناصب عليا في الدولة يتمتعون بالغنى والأرزاق المرتفعة، بينما العلماء من الطبقة العامة كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة⁽¹⁴⁾، وغالباً ما يتبرعون بالعمل دون مقابل كنوع من الزهد والتقرب إلى الله تعالى كخطيب المسجد⁽¹⁵⁾، والواعظ فكان يتبرع بالخطب دون أجر في غير أوقات الخطب، وإذا أخذ رزقه يكون من مال الوصايا والصدقات⁽¹⁶⁾.

وأحيانا كانت تصرف أرزاقهم من الخلفاء أنفسهم؛ فقد شجع الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) ألفقهاء من العامة على نشر العلم بين أبناء الطبقة

الفقيرة، وجرى عليهم المرتبات (حيث خصص سبعة وعشرون مكتبة ليدرس بها أبناء الضعفاء وإلتامى على يد المؤذنين لتعليمهم القرآن⁽¹⁷⁾ .

وارتفعت مرتبات ألقهاء أواخر العصر الأموي بعدما ساءت أوضاع الإدارة الأندلسية في فترة ألفتنة البربرية (399-422هـ/1008-1031م)، وعم أفساد الإداري والسياسي أرجاء الأندلس، قام العمال والحكام بأكل أموال المسلمين بالباطل، وإرهاقهم بزيادة الضرائب، وإرغامهم على دفع الجزية، وزادت أرزاق ألقهاء المؤيدين للسلطة مقابل أن يزينوا أفعال السلطان ويصوبوا أخطائه⁽¹⁸⁾، فنجد الخليفة هشام المعتد بالله (418-422هـ/1027-1031م) زاد في رزق مشيخة الشورى من مال العين، وفرض لكل واحد منهم خمسة عشر ديناراً تضاف إلى مرتبهم الشهري، وهي تساوي راتبهم الشهري أو تزيد . فقبلوه، ونالوا منه ما لم يناله فقيه قبلهم، بل قبلوا جوائز الأمراء، فقد استخدم الخليفة هشام الرشوة لكسب ألقهاء لثقة العوام بهم آنذاك⁽¹⁹⁾ .

أما بالنسبة للجند فكانوا يأخذون أرزاقهم في صورة إقطاعات من الأراضي، فقد اضطرت الدولة إقطاع أراضي شاسعة لقادة الصوائف تعويضاً عن الرواتب⁽²⁰⁾، فقد حصل الجند المرتزقة والصقالبة على أراضي شاسعة⁽²¹⁾، وظل النظام الإقطاعي حتى عهد الحكم المستنصر ولكن نجد أنه تم إلغائه في عهد المنصور محمد بن أبي عامر، وأمر بوضع نظام المرتبات الشهرية للجند كل حسب رتبته⁽²²⁾ .

وكان للجند الحظ الأوفر من العطاء عند بيعة أحد الحكام الأمويين، فنجد الأمير المنذر بن محمد بعد أن تمت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله قام بتفريق العطاء على الجند⁽²³⁾، ويقال أنه أعطى عطائين للجند يوم البيعة⁽²⁴⁾ .

ويذكر ابن الخطيب عن أرزاق الجند في عصر الدولة الأموية بالأندلس أن الخليفة الأموي كان يعقد لواء غازياً ولواء مقيماً وكان رزق الغازي بلوائه مائتي دينار، ويبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر، ثم يدال بنظيره من أهله أو غيرهم، وكان الغزاة من الشاميين مثل إخوة المعهود له أو بقية بني عمه، يرزقون عند انقضاء غزاته عشرة دنائير، وكان يعقد المعقود له مع القائد يتكشف عمن غزا، ويستحق العطاء، فيعطى على قوله تكرمه له، وكانت خدمتهم في العسكر واعتراضهم إله، ومن كان من الشاميين غازياً من غير بيوتات

العقد، وارتزق خمسة دنائير عند انقضاء الغزو، ولم يكن يعلى أحد من البلديين شيئاً غير المعقود له، وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءان، لواء غاز، ولواء مقيم، وكان يرتزق الغازي مائة دينار وازنة⁽²⁵⁾.

ووردت بعض من المعلومات عن أرزاق أصحاب الحرف والصناعات بالأندلس خلال العصر الأموي، فكان رزق عامل البناء عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر العاملين بمدينة الزهراء يتراوح ما بين درهم ونصف، ودرهمين، وثلاثة دراهم في اليوم⁽²⁶⁾؛ أما العاملون في الخبز فكانت أرزاقهم متفاوتة، فكان رزق العجّان نصف درهم، والرقّاد ثلاثة أثمان درهم، والكيال ثمن درهم على القفيز⁽²⁷⁾.

وكان يتقاضى المعلم على عمله درهمان⁽²⁸⁾؛ ونرى أن أرزاق الطبقة العامة متدنية ولا تكفي متطلبات الحياة، ويؤكد ابن حوقل على سوء أوضاع العاملين بالأسواق الأندلسية ويقول: "وقلّ سوق بها يصير إليه أهله إلا على ألفارة من المركوب فهم المهنة والمشي إلا أهل الصناع والأرذال"⁽²⁹⁾.

وعبرت الأمثال الشعبية عن الحالة الاقتصادية للطبقة العامة، فمن أمثلتهم: "الأجر درهمين والبقل من أين"⁽³⁰⁾، حيث عجز البعض عن شراء قوت يومه ولاسيما شراء اللحوم التي كانت من الأطعمة صعبة المنال، ففي القرن الرابع الهجري وصلت أسعار اللحوم إلى الدرهم والدرهمين⁽³¹⁾ وبيعت البغال في قرطبة بخمسمائة دينار، أو مائة ومائتان دينار⁽³²⁾. وعلى النقيض كانت أجور الطبقة العليا مبالغ بها فقد اشترى أحد القضاة كساء بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار⁽³³⁾ فإن ما يربحه الحرفي في الشهر يمثل سدسي ما دفعه هذا القاضي في الكساء، وما يحصل عليه الحرفي يمثل (1:20) مما يتقاضاه أحد الوزراء الذي يصل مرتبه في الشهر ألف دينار⁽³⁴⁾. فنرى أن الأرزاق تعكس الحالة الاقتصادية للدولة كونها مزدهرة أو متدنية.

أما الطبقة الكادحة من الفقراء والضعفاء في الأندلس كأن عددهم كبير، واعتمدوا في أرزاقهم على الصدقات والمعونات، فبعد حصر عددهم في مدينة ألمرية وأرباضها فقط، وجد فيها عشرون ألف ضعيف⁽³⁵⁾، ووصف سكان قرطبة أنهم أناس إمكانياتهم محدودة⁽³⁶⁾ وعانوا من ضيق العيش "حتى ما كانوا يقتاتون إلا ألفول الأخضر"⁽³⁷⁾.

واعتمد عوام الأندلس بشكل عام في غذائهم على القمح والشعير والحنطة⁽³⁸⁾، واقتات الضعفاء وأهل البادية الدرة العربية⁽³⁹⁾، والأرز الدخن⁽⁴⁰⁾، وجففوا ألفاكهة لحفظها من الفساد؛ حتى يجدوا ما يقتاتون به طوال العام⁽⁴¹⁾، وأحياناً تخلو بيوتهم من الأقوات فيكتفون بحساء من دقيق وكسور باردة يفتوه فيها⁽⁴²⁾، واقتصادوا في المعيشة، فادخلوا مع القمح حبوب أخرى في عجن الخبز للتوفير وقالوا في ذلك: "أخلط القمح تصلح"⁽⁴³⁾. وقاموا بقلي الخبز وتحميصه؛ وجاءت أمثالهم معبرة عن ذلك بقولهم: "طُشْطُون، أخير من الجوع"؛ ويعني الخبز المقلي أو المحمس، وهو يضرب في القنوع باليسير إذا لم يتوفر الكثير⁽⁴⁴⁾.

واقتات الضعفاء والمساكين بواقي الطعام التي كانت ترمى من مطابخ قصور الحكام الأمويين، ففي أيام الخليفة الناصر لدين الله وابنه الحكم كان يطبخ خمسة أقفزة من الحمص يومياً؛ فيأخذوا ماءها ويرموا الباقي، فيلتقطه أهل الحاجة من الضعفاء والمساكين⁽⁴⁵⁾، ومع حلول شهر فبراير يتسارع الفقراء في جمع أقواتهم مثل: ألفواكه البرية كالتوت والأعشاب الطبية وسيقان الشمر؛ فيقوم الأطفال والنساء بجمعها⁽⁴⁶⁾، وفي ليالي البرد القارصة في فصل الشتاء يعجز الفقراء عن شراء ألفحم للحصول على الدفء⁽⁴⁷⁾.

ولجأ البعض من أهل الحاجة إلى الشحاذة والتسول على بيوت الطبقة العليا لطلب الطعام والحصول على أرزاقهم، وخصوصاً خلال شهر رمضان، فإذا بسائل يقول: "يا أهل هذه الدار الصالح أهلها، أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة"⁽⁴⁸⁾، وكان البعض يتسول في الأسواق والمساجد، وكانت ظاهرة التسول منبوذة في الأندلس؛ فإذا رأى الناس شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يشحذ يسبوه ويمينوه "فلم يجد في الأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر"⁽⁴⁹⁾.

وكان يندرج تحت هذه الطبقة فئة التجار والحرفيين مثل الصوافين والعكارين والحرارين والشقاقين⁽⁵⁰⁾، والعمال الذين يعملون داخل الحمامات كالحلاقين والحكاكين والسراجين والطيايين⁽⁵¹⁾، والخفافين⁽⁵²⁾، والصيادين⁽⁵³⁾، وكذلك الحرفيين والمزارعين الصغار والأجراء والعاطلين والعبيد⁽⁵⁴⁾، وعمل بعضهم على التقاط الصوف من الأزقة والمزابل لبيعها وكسب قوت يومه⁽⁵⁵⁾.

ولم يتسنى للفقراء وأصحاب الأجور الزهيدة اشتغال الوظائف المرموقة في الدولة مثل القضاء⁽⁵⁶⁾، وذلك حرصًا على عدم تعديهم على حقوق الناس؛ ولا سيما الوظائف المتعلقة بالأمور المالية كالوصايا والموارث، فعندما أقبل الأمير الحكم على تعيين ألفقيه يحيى بن يحيى لتوليته أمور المسلمين، اعترض عدد من أعلام العلماء لكونه فقيرًا، وقد تدفعه حاجته إلى التجاوز، رغم أن لديه من العلم ما يؤهله لهذا المنصب، ولذلك اقترح ابن الأمير الحكم -عبد الرحمن الثاني- أن يعطي للفقيه مبلغًا من المال ليغنيه عن التعدي على حقوق المسلمين، وبذلك أصبح مؤهلًا للمنصب⁽⁵⁷⁾.

وحرص الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/756-788م) على مصلحة العوام، ولا سيما الضعفاء وأصحاب الشكوى كانوا يصلون إليه دون عناء، وكان من عادته أن يأكل معه أصحابه من أدرك وقت طعامه، ومن وافق ذلك من الضعفاء، وأصحاب الشكوى، كأن يشاركه، ويأكل معه⁽⁵⁸⁾. واشتهر الأمير هشام بن عبد الرحمن (172-180هـ/788-796م) بكرمه وجوده وعدله، فقد أخلى السجون ورد المظالم وأهتم بالصدقات، فكان يصير الصرر من الأموال في ليالي المطر المظلمة ويوزعها في البيوت والمساجد⁽⁵⁹⁾.

وبادر الأمير الحكم بن عبد الرحمن إلى إغاثة ومعاونة المنكوبين بعد وقوع المجاعة سنة (197هـ/812م)، فقام بالتخفيف عنهم، ففرق الصدقات الواسعة من الأموال والطعام على الضعفاء، والمساكين، وعابري السبيل⁽⁶⁰⁾.

وعُرف عن الأمير عبد الرحمن الأوسط ببذله وعطاءه فعرفت أيامه بالعروس، فكان يخرج الأموال والكسي، ويفرقها على الناس، حيث أخرج خمسة آلاف دينار من صلب ماله وفرقها على أهل الحاجة وألفاقه من أهل قرطبة⁽⁶¹⁾، كما قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة بعد وقوع مجاعة سنة (207هـ/822م) للتخفيف من معاناتهم⁽⁶²⁾.

أما الأمير عبد الله فكان رحيماً كثير العطاء والبر بالضعفاء أوقات الشدة والرخاء، يبسط يده بالصدقات على ألقراء وأهل الحاجة، فخصص لهم جزء من أموال الجبايات رأفة بأحوالهم، لتزداد الأموال بركه ونماء⁽⁶³⁾، ومن عادته هو وأعوانه بذل العطاء في المناسبات السعيدة، فقد كافأ أحد مُنجميه بألف دينار يدعى مروان بن غزوان، وذلك

بعدما تحققت نبوءته بافتتاح ثلاثة معاقل من بلد العدو، وقام المنجم بالتصدق بدراهم يسيرة منها على الضعفاء والمساكين⁽⁶⁴⁾. وادخر الأمير المنذر مائة ألف من أموال الخراج وخصصها للأزمات والنوائب، وصرف هذا الجزء بعد قيام الثوار في نواحي الأندلس، واشتداد الأزمات الاقتصادية⁽⁶⁵⁾.

وفي عصر الخلافة قام الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بأخذ الاحتياطات اللازمة من المؤن والحبوب، وتخزينها في الأهراء للتصدي لأي أزمة، كما أخرج الصدقات والأموال ووزعها على الضعفاء، فعندما وقعت مجاعة في سنة (302-303هـ/914-915م) وزع الأموال والطعام على المحتاجين، والمتعفين من رعيته، واقتدى به كبار رجال دولته، وأهل الحسبة، وكان منهم حاجبه بدر بن أحمد الذي أكثر في إفشاء الصدقات، ومواساة الناس مما خفف من أثر تلك المحنة⁽⁶⁶⁾.

واعتنى الخليفة الحكم المستنصر بالفقراء والضعفاء أوقات الشدة والرخاء، فكأن يخرج الصدقات والطعام على أفقراء والمحتاجين في شهر رمضان من كل عام فيجول بها في أرباض قرطبة، والزهراء بحثاً عن ذوي الحاجة، ويفك لهم كرباً كثيرة⁽⁶⁷⁾، فكأن يجمع المساكين والضعفاء بالقرب من قصره ليبت عليهم صرر المال⁽⁶⁸⁾. وحث الخليفة المستنصر رعاياه بالتصدق على أفقراء⁽⁶⁹⁾.

وبرز دور المنصور محمد بن أبي عامر في مجاعة سنة (379هـ/989م)، التي استمرت ثلاثة سنوات؛ حيث أمر بصنع اثنين وعشرين ألف خبزة وتوزيعها على الضعفاء وإطعامهم يومياً من بداية المجاعة حتى نهايتها، كما كفن ضحايا المجاعة وأغاث الأحياء منهم⁽⁷⁰⁾.

واهتم الحاجب المنصور أيضاً بالفقراء وأهل الحاجة فعندما ختن أولاده ختن معهم خمسائة صبي من أولاد الضعفاء لمساعدتهم في النفقات، وأنفق عليهم خمسائة ألف دينار⁽⁷¹⁾، وكان أصحاب الأراضي عهد المنصور يعطون زكاة أموالهم في الناض، والطعام، والمواشي ويقسمونه على المساكين في كل بلدة⁽⁷²⁾.

وأفتى بعض الفقهاء بجواز الأخذ من مال الأغنياء وتوزيعها على أفقراء أوقات الأزمات؛ حيث عمل ألفقيه الخطيب محمد بن الصالح يوسف بن عمران المزدغي كتاب (أنوار

الإفهام في شرح الأحكام) وناقش فيه تلك الأقضية، وعندما توفي لم يبقى صغير ولا كبير إلا وخرج في جنازته لاتصافه بالعدل والرحمة⁽⁷³⁾.

وكان قوامه المسجد من الكناسيين والكنافين والوقادين والسقايين من هذه الطبقة، وهم المسئولين عن نظافة المسجد وإعداده للمصلين فكانت تصرف أرزاقهم من مال الانحباس، ورزق الوقاد لإنارة المسجد تحدد حسب عمله، فورد أن الوقاد كأن يأخذ من المسجد الجامع أجرة قدرها اثنا عشر ديناراً في كل شهر⁽⁷⁴⁾.

ونعم الجواري والعبيد في قصر قرطبة بحياة مترفة، فقد أغدق عليهم الحكام الأمويين الأموال والجواهر النفيسة، فقد تزينت جواري الأمراء بمنتجات الصباغة الثمينة، فيذكر أن جارية لهشام بن عبد الرحمن الداخل كانت تمتلك عقداً قيمه ثلاثة آلاف دينار⁽⁷⁵⁾.

وأهدى الأمير عبد الرحمن الأوسط لجاريته طروب حلياً قيمتها مائة ألف دينار⁽⁷⁶⁾، واشترى من أحد التجار عقد جواهر بمبلغ عشرة آلاف دينار وهداه إلى الأميرة شفاء إحدى محظياته⁽⁷⁷⁾. وكان للخليفة الناصر في مدينة الزهراء اثنا عشر ألفاً من الخدم يتزينون بالذهب ولسيوف المحلاة⁽⁷⁸⁾. ورغم أن الجواري والعبيد من أدنى الطبقات في المجتمع الإسلامي إلا أنا قريهم من قصر الخلافة والطبقة العليا رفع من مستواهم المعيشي.

الخاتمة: نستخلص من الدراسة التي تناولت "الأرزاق في الأندلس خلال عصري الأمارة والخلافة (138-422هـ/756-1031م)" مجموعة من النتائج، أهمها:-

اهتم الحكام الأمويين بزيادة أرزاق القضاة والوزراء وعمال المدن حرصاً على حقوق الناس ولضمان عدم تعديهم على أموال العامة.

- حرص الحكام الأمويين على الإغداق بالأموال والإقطاعات الجند الأندلسي، وزيادة أرزاقهم بين الحين والآخر، لضمان ولائهم أوقات الحروب والثورات ولاسيما الجند المرتزقة.

- كأن العوام من الناس يعانون من قلة الأجور التي لا تكفي للزوميات المعيشة، وقد تراوحت أجورهم بين الدرهم والدرهمين كعاملين البناء وأصحاب الحرف والعاملين في الأسواق والمعلمين والمؤدبين من الفقهاء.

- اعتمد الفقراء والمحتاجين في أرزاقهم على ما يوزعه الحكام والطبقة العليا من الصدقات وصرر الأموال أوقات الشدة والرخاء.

- نَعِم الشعراء وحاشية السلطان من الجوّاري والعبيد برغد العيش وإسراف الأمراء في تكريمهم بالهدايا والجواهر النفيسة.

الهوامش:

- 1- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص78/ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص104. "اعتمد النظام النقدي في عصر الأماة الأموية بالأندلس على الدراهم؛ حيث ضربت لأول مرة خلال عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ/822-852م) بقرطبة، "ولم يكن فيها دار ضرب منذ فتحها العرب، وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليهم من دارهم أهل الشرق ودنائيرهم. ابن حيان: المقتبس من أنباء الأندلس، ت: محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 1424هـ/2003م، ج2، ص290-291/السيوطي: تاريخ الخلفاء، ت: حمدي الممدداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004م، ص366.
- 2- ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م، ص104.
- 3- المقرئ، نفع الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1، ص146.
- 4- ابن سعيد: المغرب في حلّ المغرب، ج1، ص46: المقرئ: المصدر السابق، ص352.
- 5- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي لأفريقي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ج2، ص80-6- ابن حيان: المقتبس، ج2، ص296-7- المقرئ: نفع الطيب، مع1، ص23.
- 8- ابن سعيد: المغرب في حلّ المغرب، ج1، ص46-9- ابن حيان: المقتبس، ج2، ص292.
- 10- المقرئ: نفع الطيب، مع1، ص360-365. The Economic History of Spain/360-356. Dacca 1963 (Asiatic Society of Pakistan)
- 11- القاضي عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ت: سعيد أحمد أعراب، طبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1983م، ج2، ص497.
- 12- العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص86.
- 13- إسماعيل بن محمد الشقندي: رسالة في فضل الأندلس "كتاب ثلاث رسائل في فضل الأندلس وأهلها" ت: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968م، ص53-14- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص121، 146، 267.
- 15- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء وألفتها، ت: لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص42.
- 16- ابن عبدون: رسالة في لقضاء، ص23، عبيد زكريا سليمان: القائلون على المساجد في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية وحتى سقوط دولة بني الأحمر 138-897هـ/756-1492م، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، مع24، ج3، 2014م، ص336-339.
- 17- أحمد الطاهري: دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص115.
- 18- ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م، ج3، ص173 - 176.
- 19- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، ج3، ق1، ص517.
- 20- نورهان إبراهيم عبد المنعم سلامة: موارد بيت المال بالأندلس وأوجه صرفها منذ أُلْفَتِ الإسلام حتى نهاية عصر الدولة الأموية (92-422هـ/711-1031م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2019م، ص142.
- 21- إبراهيم القادري بوتشيش: أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250/316هـ)، ص92-22- الطرطوشي: سراج الملوك، القاهرة، 1354هـ، ص122-23- ابن عذاري: البيان، ج2، ص114.
- 24- ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1258هـ، ق2، ص24.
- 25- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1973م، مع1، ص104-105-.
- 26- المقرئ: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص526.
- 27- ابن عبدون: ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسب، ص41-28- نفس المصدر، ص72.

- 29- ابن حوقل: صورة الأرض، ص 114.
- 30- الزجالي: أمثال العوام في الأندلس مستخرج من كتابه: ري الأوام ومرعي السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق: محمد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1969م، ق 1، ص 237، مثال رقم 393.
- 31- الونشريسي: المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الرباط، 1981م، ج 6، ص 414.
- 32- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 115.
- 33- الخشي: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1953م، ص 139.
- 34- إبراهيم القادري بوتشيش: أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ-316هـ)، ص 151-35- العذري: نصوص عن الأندلس، ص 86.
- 36- ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ص 45.
- 37- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م، ص 80.
- 38- بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي لمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1993م، ص 211.
- 39- وسميت "بالقطاني" لأنها تفتني البيوت وتظل بها مدة طويلة. رجب عبد الجواد: "ألفاظ المآكل والمشرب في العربية الأندلسية (دراسة في نفع الطيب المقري)"، مجلة علوم اللغة، العدد 3، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، مج 1، ص 165.
- p.99. 1978. Paris. Europe medieval sous domination Arabe(Hachette, C.E:La vie Quotidienne dans l.40- Dufourcq
- 41- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 1، ص 137-42- المقري: نفع الطيب، ج 3، ص 339.
- 43- الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ق 1، ص 264. (رقم 418) -44- نفس المصدر، ق 2، ص 243. مثال رقم 1051.
- 45- مؤلف مجهول: كتاب الطيب في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق أمبروزيو اويي ميراندا، معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1961-1962م، مج 9، 10، ص 67: الونشريسي: المعيار، ج 1، 147.
- p.95-96. 46- Charles: op.cit
- 47- المقري: نفع الطيب، ج 1، ص 224-48- ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح النأس، ص 254.
- 49- المقري: المرجع السابق، ج 1، ص 220.
- 50- صفي الدين معي الدين: الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية (138-422هـ/755-1031م)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 1، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م، ص 78.
- 51- ليوبولد توريس بلباس: "الأبنية الإنسانية الإسلامية، تعريب عليّة إبراهيم العناني"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الأول، السنة الأولى، 1372هـ/1953م، ص 115.
- 52- الخفافين: وهما صانعوا الخفاف جمع خف (الأحذية). ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، ص 137.
- 53- المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 339-54- صفي الدين معي الدين: المرجع السابق، ص 78.
- 55- الونشريسي: المعيار، ج 5، ص 237.
- 56- ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسية والمحاسب، ص 10/إيمان أسامة سيد: الأزمات الاقتصادية في عصر الأمويين بالأندلس (138-422هـ/756-1031م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2019م، ص 134.
- 57- إسماعيل بن محمد الشقندي: رسالة في فضل الأندلس "كتاب ثلاث رسائل في فضل الأندلس وأهلها" ت. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968م، ص 53-58- المقري: نفع الطيب، ج 1، ص 332.
- 59- عبد الملك بن حبيب: استفتاح الأندلس، ص 81/المراكشي: المعجب، ص 43/مجهول: أخبار مجموعة، ص 110/مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص 119-120/المقري: نفع الطيب، ج 1، ص 337.
- 60- ابن حيان: المقتبس من أنباء الأندلس، ج 2، ص 91-92/مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص 136/المقري: نفع الطيب، ج 1، ص 341-61- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، من ألفت إلى بداية عهد الناصر، ص 242.
- 62- مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص 139-63- ابن حيان: المصدر السابق، ج 1، ص 225.
- 64- ابن حيان: المصدر السابق، ج 3، ص 54: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 346.



- 65- نفس المصدر، ج2، ص397-398.---66- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص352.
- 67- ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص109-110/ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص168.
- 68- ابن حيان: المصدر السابق، ج4، ص23-76-110-152-226-233-234.
- 69- نفس المصدر، ج4، ص232-233، 149.---70- مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص181-182.
- 71- المقري: نفح الطيب، ج1، ص596.
- 72- الأمير عبد الله: مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ص17.---73- ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص8-9.
- 74- الونشريسي: المعيار، ج7، ص85.
- 75- Imamuddin- The Economic History of Spain- p. 221.
- 76- عبد العزيز سالم- قرطبة حاضرة الخلافة- ج2- ص144.
- 77- ابن الأبار- الحلة السيرة: ج1، ص116، (كان ذلك العقد للسلطانة زبيدة زوجة هارون الرشيد وكان ضمن الأشياء الثمينة التي نهبت في بغداد أيام ألفتنة بين الأمين والمأمون. ابن عذاري: البيان، ج2، ص91/ليفى بروفنسال- الحضارة العربية في إسبانيا، ص65.---78- النويري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص116.

DOI: 10.54240/2318-012-001-015

قصائد لسان الدين ابن خطيب تجربة إنسانية وحقائق تاريخية: كتاب
"نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" أنموذجا.
The poems of Lisan al-Din Ibn Khatib, a human
experience and historical facts: The book Nufadhat al-
Jurab fi 'Ulalet al-Ightirab a model.

اسم ولقب المؤلف: رشيدة الشانك- Echanik Rachida
الدرجة والعنوان المهني: باحثة في سلك الدكتوراه- جامعة ابن طفيل- القنيطرة- المغرب.
البريد الإلكتروني: rachidaechanik2016@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2021/12/14 تاريخ المراجعة: 2022/01/05... تاريخ القبول: 2022/03/04

الملخص: حين نكتب مقالا عن لسان الدين بن الخطيب الشاعر الإنسان، يصعب علينا أن نفرق في قصائده بين المؤرخ والأديب الشاعر؛ فهو الشاعر الذي سبر أغوار نفسه الحزينة، كتب قصائد عن الحزن، الغدر، ألم الفقد، وتقلب الأيام، وهو بذلك خلد واقعا مؤلما عاشه، وبين المؤرخ الذي وثق مروره وسفره ونكبة أصدقائه، وموت سلاطين ظل بجانب قبورهم ينشدهم شعرا.

الحقيقة أن ابن الخطيب برع في الاثنين، فهو عَلم من الأعلام الأندلسية، موسوعة أدبية علمية من أشهر أدباء عصره، "وكتابه نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"، موضوع دراستنا لم يكن فقط كتابا لسرد ما تبقى من الماضي محفوظا في الذاكرة، بل هو كتاب شعر، والشعر فن وإحساس، هو سفر من محطة إلى أخرى، سفر الوزير الشاعر المؤرخ الغرناطي شعرا، إلى عوالم مختلفة ذاتية وموضوعية.

الكلمات المفتاحية: شعر- تاريخ- توسل- قصائد- منفى- إحساس- سفر- فاس- موت- قبر.

Abstract: When we write an article on Lisan al-Din Ibn al-Khatib, the poet and man, it is difficult for you to differentiate in his poems between the historian and the poet-literate. He is the poet who probes the depths of his sad psyche and writes poems about sadness, treachery, the pain of loss, and the vicissitudes of days, thus immortalizing a painful reality that he lived and lived through.

And between the historian who documents his passing, his travels, the calamity of his friends, and the death of sultans, he remained beside their graves, singing poetry to them.

In fact, Ibn al-Khatib excelled in both, as he is one of the Andalusian figures, a scientific literary encyclopedia of the most famous writers of his time, and "his book, Nafadat al-Jurab fi 'ulalet al-ightirab," the subject of our study was not only a book to list the rest of the past preserved in memory, but rather a book of poetry. Poetry is an art and a feeling, it is a travel from one station to another, the travel of the minister, the poet and historian Al-Gharnati in poetry, to different subjective and objective worlds.

Keywords: poetry- history- begged- Poems- Exile- Feeling- travel- Fez-death. Tomb.

مقدمة: إذا تصفحنا العديد من مصادرنا الوسيطية، نجد أنها تزخر بالعديد من القصائد الشعرية، «يسوقها المؤلف بين يدي القضية التي يريدها بالكتابة، لزيادة بيان أو زيادة برهان»¹ نموذج "المن بالإمامة" لعبد الملك بن صاحب الصلاة²، واستشهاد عبد الواحد المراكشي في معجبه بأكثر من سبعمائة وسبعين بيتا شعريا³، ثم كتاب "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" لابن الخطيب موضوع دراستنا، يتضمن الكثير من الشعر بل إن أحد الباحثين يرى استكثار الوزير لسان الدين بن الخطيب من الشعر⁴.

تنطوي موضوعات شعره على عدة حقائق تاريخية، حيث أشار إلى بعض المعارك، أو إنجازات معمارية لأحد السلاطين، أو استقبال بعض الوفود أو تكون استعطافا للسلطان، أو طلب استغاثة إلى الحضرة العلية، «كاستنجد والي إشبيلية بأبيه عبد المؤمن واستعجاله في القدوم بنظم قصيدة تصف الفتنة»⁵، ولن ننس أن بعض القصائد في بعض المصادر الوسيطية ألفها السلاطين بأنفسهم، كقصيدة المأمون الموحي (624-629/1226-1231م) بعد قطعه لرؤوس الثوار قال فيها⁶:

أهلُ الحَرَابَةِ وَالْفَسَادِ مِنَ الْوَرَى يُعَزَّوْنَ بِالتَّشْبِيهِ لِلذَّكَارِ
فَقَسَادُهُ فِيهِ الصَّلَاحُ لغيرِهِ بِالْقَطْعِ وَالتَّغْلِيْقِ فِي الْأَشْجَارِ

يوضح عبد الله العروي في كتابه "مفهوم التاريخ"، تشابك التاريخ بالشعر والشعر بالتاريخ، بقوله: «إن الملحمة الشعرية هي تاريخ الآلهة والأبطال العمالقة، وأن التاريخ هو ملحمة الملوك وأعوانه»⁷، ويضيف أكثر ليؤكد هذا التلاحم بأن: «التاريخ مُولد في مضمونه

وشكله عن الشعر الملحمي والمسرحي»⁸، وقد جمع لسان الدين ابن الخطيب (713-776هـ/ 1313-1376م) بين الأمرين: الشعر والتاريخ، كما جمع بين الوزارتين وأبدع فيهما؛ فهو العالم الموسوعي والمثقف المشارك في قضايا العصر، ولا يخلو أي كتاب له من وجود قصائد عبر فيها عن مشاعره، ووصف شعوره وإحساسه وما تعرض له من ظلم وطغيان، خاصة بعد قدومه الأخير إلى المغرب الأقصى، وتأليفه كتاب "نفاضة الجراب في علالة الإغتراب"⁹.

تتمثل الإشكالية التي سنحاول تفكيكها والإجابة عنها في هذه الدراسة أولاً: إبراز الأديب الإنسان ابن الخطيب ومحنه من خلال ما كتب من قصائد، ثانياً إلى أي حد تعتبر قصائد ابن الخطيب مصدراً أساسياً من مصادر الكتابة التاريخية؟ معتمدين في هذه الدراسة على المنهج التحليلي لكونه يتناسب مع طبيعة الموضوع المدروس من خلال تحليل مضامين قصائد ابن الخطيب سواء المتعلقة بمعاناته، أو القصائد التي نظمها خلال تجواله في أنحاء المغرب وأرّخ بها أسماء بعض الأعلام والمدن.

1- الشاعر لسان الدين ابن الخطيب وكتابه نفاضة الجراب في علالة الإغتراب:

1-1 نكبة لسان الدين ابن الخطيب: يكفي أن تقرأ شعر لسان الدين ابن الخطيب، لتلمس كما من الإغتراب في أكثر من قصيدة، وتشعر كيف كانت أيامه، أياماً ثكلها المد ونبدتها الفجر.

وَلَمَّا تَنَاهَى وَرْدَ خَدِّكَ نَظْرَةً وَأَنْشَأَ فِي طَيِّ الْقُلُوبِ هَيَاجَا
تَشَوَّفَ سُرَّاقَ الْعَيُونِ لِقَاطِفِهِ فَكَانَ لَهُ شَوْكُ الْغَدَارِ سِيَاجَا¹⁰

هل كان لك يا ابن الخطيب الغرناطي سياجا يحميك من غدر الزمن وألوان السياسة؟! يعتبر لسان الدين ابن الخطيب (لوشة 713هـ/1313م- فاس 776هـ/1376م) علم من الأعلام الأندلسية، موسوعة أدبية علمية من أشهر أدباء عصره، «ينتهي لعائلة اشتهر رجالها بالعلم والأدب والسياسة»¹¹، تنقل بين المغرب والأندلس سفيراً ولاجئاً وسياسياً¹². بعد مقتل والده في معركة ثغر طريف سنة 741هـ/1340م حل محله في "الكتابة"، وتقلب في العديد من المناصب جامعا السفارة إلى الوزارة، «ينتقل إلى الملوك في مهمات، ويسافر إليهم في الأحداث الكبيرة»¹³، وفي إشارة أخرى لمكانته السياسية أشار المقري، «ألقى إليه مقاليد مملكة غرناطة»¹⁴، لكن سيبدأ فصل

التغريب والاعتراب، أو رحلة المعاناة التي ستتشابك مع محنة عامة عاش فيها المغرب أزمة سياسية معقدة أشد تعقيدا¹⁵، وقد مثلت فصول هذه الأزمة المحزنة في كل من غرناطة وفاس ومراكش¹⁶، في فترة نشطت فيها المطامح وعملت المطاعم عملها، ويبدو أن ذلك كله استغل أو تم «بتدبير من ملك غرناطة محمد الغني بالله»¹⁷؛ في وفاة سلطان المغرب في ربيع الآخر من عام 774هـ/1372م، فقد ابن الخطيب حاكما مخلصا يحميه من أعدائه، حيث تولي المغرب من بعده السلطان المستنصر بالله أبي أحمد بن إبراهيم، وقد ساعده الغني بالله صاحب غرناطة على الوصول إلى الحكم مشترطا عليه شرطا تسليمه ابن الخطيب يريد الفتك بوزيره السابق والانتقام ممن آووه¹⁸.
ظل ابن الخطيب مطاردا من طرف خصومه الأندلسيين، الذين أوقعوا بينه وبين سلطان المغرب¹⁹، وألصقوا به العديد من التهم قصد "التصفية"²⁰، أشار إلى نقمة حساده وسماهم "بالخونة"، وقال في ذلك:

تَلَوْنَ إِخْوَاني عَلَيَّ وَقَدْ جَنَّتْ لَدَيَّ حُطُوبٌ جَمَّةٌ ذَاتُ أَلْوَانٍ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَنْ يَتَنَكَّرُوا بِأَنَّ خِوَاني كَانَ مَجْمَعٌ خَوَّاني²¹

كما نسبوه إلى «الزندقة والانحلال من ربة الإسلام والقول بالحلول والإلحاد»²²، بل وأمر القاضي أبي الحسن «بجمع كتبه وصب الزيت عليها، وإحراقها في حضرة غرناطة منتصف سنة 773هـ/1372م بحضور جمهور من الفقهاء»²³. رغم توسلاته من خلال الرسائل والقصائد التي بعثها لذوي الشأن لفك كربته؛ فقد زجَّ به في السجن وقتل خنقا، وفي اليوم الثاني أخرجت جثته، ودفن في مقبرة باب المحروق أحد أبواب فاس القديمة، ثم أخرجوه في اليوم الثالث من القبر، وأشعلوا من حوله النار، وذلك في ربيع الأول من العام 776هـ/1374م²⁴، ما يزال قبره قائما في باب المحروق بفاس في ضريح صغير عليه هذه العبارة، «هذا ضريح العلامة لسان الدين ابن الخطيب. فاس سنة 776هـ-1374م»²⁵.

في قصيدة رثى نفسه قبل موته اخترنا منها بعض الأبيات، قصيدة ضاحجة بالحزن.

لَقَدْ نَلْتُ مِنْ دَهْرِنَا رَفْعَةً تَقَضَّتْ كَبْرَقَ مَضَى سُرْعَةً

فَهَبَتْ نَرْجُولَهَا رَجْعَةً وَأَصْوَاتُنَا سَكَّتْ دَفْعَةً

وَكُنَّا نَسُوسُ أُمُورًا عِظَامًا وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا

وَكُنَّا لَدَى الْمَلِكِ حَلِيِّ الطَّلِي فَأَهَا عَلَيْهِ وَمَانَا خَلَا
وَمَا الْمَوْتُ قَدْ صَبَبْتُ مِنْهُ نَصِيبي فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ
مَضَى ابْنُ الْخَطِيبِ كَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدِهِ يَقْتَفِي سُبُلَهُ²⁶

وكأنه كان عارفاً بنكبته، أخذنا مقطعاً من أشهر موشحاته في مدح الغني بالله محمد الخامس²⁷، جادك الغيث إذا الغيث هما يا زمان الوصل بالأندلس "التي تشير إلى إحساسه بظلم جائم على قلبه، قلب شاعر، حتى وهو مادحاً، في ثنايا مدحه إحساس فظيع بالظلم:

حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَاحْتَكَمَا لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفَسِ
يُنْصَفُ الْمَظْلُومُ مِمَّنْ ظَلَمَا وَيُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي
مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدُ
كَانَ لَهُ فِي اللُّوحِ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ
جَلَبَ الْهَمُّ لَهُ وَالْوَصَبَا فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهِيدٍ²⁸

أشار ابن خلدون الذي كان صديقاً مقرباً من ابن الخطيب وجمعت بين الرجلين أواصر الصداقة وقد ترجم كل منهما للآخر وذكره بما ينم عن خالص التقدير، وتبادل طائفة من الرسائل بينهما²⁹، أنه قام بالتوسط في محنته وساعيا في خلاصه إلى نهايته المأساوية، «وكانوا قد اعتقلوه لأول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به، وبعث إليه ابن الخطيب مستصرخا به متوسلا، فخاطبت في شأنه أهل الدولة، وعولت فيه منهم على ونزمار وابن ماسي، فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب بمحبسه»³⁰، وربما هذه النهاية هي التي جعلت ابن خلدون يبتعد عن السياسة ويعتكف في قلعة أولاد سلامة من بلاد بني توجين «فأقامت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها»³¹.

المفارقة الغريبة أن ابن الخطيب كان صاحب رسالة كتبها في أحوال "خدمة الدولة ومصائرهم"³²، وهو من خدم أعتاب دول والعارف بدواليبها، لكنه لم يكن يتوقع هذا المصير المحزن المأساوي، لا نستغرب أبداً لبعض المصادر التي عايشت نهاية بن الخطيب وغفلت عنها وتناستها مرغمة؛ فلماذا لم يتم ذكر محنته في "الحلل الموشية"³³، لأنه أندلسي الدار

عاش في ظلال بني الأحمر، وأن الكتاب ألف تحت نفوذها؟ (يمكن أن يكون موضوعا لمقال آخر).

ترك لسان الدين ابن الخطيب تراثا غنيا متنوعا، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتابا منها فقط للتذكير: كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، الإحاطة في أخبار غرناطة بأجزائه، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب التي نشتغل عليها في هذه الدراسة، (الجزء الثاني)، وهو في أربعة أسفار ومن أحسن تأليفه³⁴، وقد استفاد من هذا الكتاب المتأخرون ونقلوا منه بعض أجزائه، ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب³⁵، وموشحات لسان الدين ابن الخطيب المتفرقة في العديد من المصادر³⁶، لها شهرة واسعة بل «قد انتهت إليه رئاسة هذا الفن»³⁷ بل عده بعض الدارسين «من مشاهير الوشاحين الأندلسيين»³⁸، وسمّاه ابن خلدون «شاعر المغرب والأندلس لعصره»³⁹.

وأشهر موشحاته، الموشحة التي مطلعها⁴⁰

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلُ بِالْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حِلْمًا فِي الْكُرَى أَوْ خِلْسَةُ الْمُخْتَلَسِ
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمَنَى يَنْقُلُ الْخَطْوَ عَلَى مَا يَرَسِمُ.

1.2 نفاضة الجراب في علالة الإغتراب (الحدث نثرا وشعرا):⁴¹ يُعد كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، (الجزء الثاني) لابن الخطيب الذي ألفه حسب بعض الدارسين⁴²، ليكون بمثابة مذكرات شخصية عن المدة التي قضاها منفيا في دولة بني مرين بالعدوة أي المغرب الأقصى بعد صرفه عن الأندلس واستقراره به قبيل وفاته بسنوات قليلة، «ولهذا سمي نفاضة الجراب»⁴³، يتناول هذا الكتاب حياة ابن الخطيب في المغرب حين نفي إليه مع سلطانه سنة 760هـ/1358م، هذا المؤلف ومؤلفات أخرى كما يرى الباحث بنشقر⁴⁴، تتصل بالبيئة المغربية اتصالا مباشرا إذ أنها تستمد الخام منها، وتعكس مظاهر التفاعل الذي تم بين ابن الخطيب وهذه البيئة التي آوته واحتضنته؛ فقد فضل الاستقرار بمدينة سلا وفيها شعر بالأمان والهدوء؛ فألف عددا كبيرا من المؤلفات التاريخية والأدبية⁴⁵، وقد

علق هو بنفسه على إقامته: «فجئنا إلى السكون بمدينة سلا؛ حيث ضربت الحرمة رواقها، وأقامت الحسنه بسبب الضريح (ضريح أبي الحسن المريني)⁴⁶.

سجل في كتابه ما رآه من «الآثار الباقية بجمع أخبارها»⁴⁷، وذلك بوصفه للعديد من المناطق التي مر منها: كزيارته جبل هنتاتة عام 761هـ/1306م، خصص له فصلا كاملا سماه: "فصل في ذكر جبل هنتاتة"⁴⁸، مر بأغمت، مراكش، آسفي، تامسا، أنفا، دكالة، وانتهى به المطاف بسلا⁴⁹، وهناك استقر في ضاحيتها المعروفة باسم شالة⁵⁰، حسب ابن خلدون فهو المسافر «الذي استأنس واستأذن (ابن الخطيب) السلطان في التحول إلى جهات مراكش، والوقوف على آثار المملك بها فأذن له، وكتب إلى العمال بإتحافه؛ فتبادروا في ذلك وحصل منه على حظ السلطان»⁵¹.

لم يُكتب كتاب نفاضة الجراب فقط لسرد ما تبقى من الماضي محفوظا في الذاكرة⁵²، بل هو كذلك كتاب شعر، «والشعر ذاكرة حاملة لتاريخ الشعوب وأيامها وأخبارها وملاحمها»⁵³، سفر من محطة إلى أخرى، سفر الوزير الشاعر المؤرخ.

كُنْ مِنْ صُرُوفِ الرَّدَى عَلَى حَدَرٍ لَا يَقْبَلُ الدَّهْرُ عُذْرَ مُعْتَذِرٍ
وَلَا تُؤْوِلْ فِيهِ عَلَى دَعَا فَأَنْتَ فِي قُلْعَةٍ فِي سَفَرٍ⁵⁵

أخذ عنه المؤرخون المتأخرون أمثال المقري وابن القاضي والناصرى السلاوي وابن غازي العثماني، إذ استفادوا من هذا الكتاب، ونقلوا منه بعض أجزاءه⁵⁶، كتاب أرخ للمغرب الأقصى في العهد المريني في الفترة بين 773-776هـ/1371-1374م، غني بما حمله من معلومات عن العديد من المناطق التي زارها داخل المغرب، وصفها وترجم لعلمائها في شالة، مراكش، أنفا، القاهرة المرينية (المغربية)⁵⁷، عن مدينة باديس، ومدينة غساسة.

2- قصائد ابن الخطيب تجربة إنسانية وحقائق تاريخية:

1.2- قصائد ابن الخطيب حرث موجع في الحياة: لا بد من التذكير بما كتبه العلامة ابن خلدون (في فضل الوزير ابن الخطيب)، وما نسجه عنه كذلك المقري في "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" حول شعروشاعرية ابن الخطيب.

اعترف ابن خلدون بمكانته الكبيرة، وهو العارف به عن قرب فقال: «كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر، والمعارف والأدب لا يساجل مداه ولا يُهتدى فيما

بمثل هُداة»⁵⁸، وفي إشارة أخرى «وبلغ من الشعر والترسيل حيث لا يُجارى فيهما»⁵⁹، أما أحمد المقري فقد شبهه بالطائر الصيت، «الوزير الشهير الطائر الصيت، المثل المضروب في الكتابة والشعر والمعرفة بالعلوم على اختلاف أنواعها»، وقد عقب على ذلك بقوله:

تَصَانِيفُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْخَطِيبِ أَلَدُ مِنَ الصَّبَا الْعَصِي الرُّطِيبِ

فَأَيُّهُ رَاحَةٌ وَنَعِيمٌ عَيْشٍ تُوَازِي كُتُبَهُ أَمْ أَيُّ طِيبٍ⁶⁰

من خلال الأشعار الموثقة بين ثنايا الكتاب استطاع لسان الدين ابن الخطيب أن يدون تجربته الإنسانية، معاناته، تاريخه وتاريخ أوطان، (غرناطة- المغرب)، انتقل إليها مرة برغبته ومرة عنوة:

مولاي هاضني الزَّمان وسامي جُورا وأنت هو الإمام الأعَدلُ

أنحى على وفري ورَّوع مأمني ظلما وحمِّلني الذي لا يُحْمَلُ.

كان الشعر الكوة التي سمح لنا ابن الخطيب بالعبور إليه، العبور إلى الإنسان الشاعر، قصائده صادرة من الداخل من غور الذات السحيق، رسم انفعالاته شعرا، انفعالات هي جزر مد كحركات بحر، قصائده ليست مجرد تمكن من اللغة والنحو والبلاغة، قصائده هي حرث موجع في الحياة.

شكل هاجس الخوف من المجهول عنده والشعور النفسي بالاعتراب⁶¹، دافعا لمدح السلاطين في كل من المغرب والأندلس، قال في إحدى قصائده مادحا⁶²:

وَطَاعَتِكَ الْعُظْمَى بِشَارَةِ رَحْمَةٍ وَعِصْيَانُكَ الْمَخْذُورُ نَزْعَةُ شَيْطَانٍ

وَحُبُّكَ عَنَوَانُ السَّعَادَةِ وَالرِّضَا وَيُعْرِفُ مِقْدَارُ الْكِتَابِ بِعُنْوَانٍ

مَحَبَّتُهُ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَطَاعَتُهُ فِي اللَّهِ عُقْدَةُ إِيْمَانٍ

وذلك لكسب ودهم وضمان حمايتهم، وقد استأثر سلاطين المغرب بني مرين بكثير من مدائحه، تودد إليهم بحثا عن الاطمئنان والأمان غافلا أو متغافلا أن لا ثقة في السياسة ولا ثقة في من يمثي في ركبها:

ومثلُّك من يزعي الدَّخِيلَ ومن دَعَا بآل مرين جاءه العزُّ والنَّصر⁶³

ليكونوا له درعا واقيا من تقلبات أوراق السياسة التي تتلون كل فترة وأخرى قائلا⁶⁴:

ضاق عن وَجْدِي بكم رَحْبُ الْفَضَا لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ

فأعيدوا عهد أنس قد مضى نقدوا عانيكم من كربه.
الحديث عن قصائد واسطة عقد "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"، هو الحديث عن تجربته الإنسانية المؤلمة، عن علاقاته السياسية المتشابكة عن الحساد والوشاة:
يَا دَائِمَ الْحَقْدِ وَالْفَظَاظَةِ لَا يَفْرِقُ مَا بَيْنَ ظَالِمٍ وَبَرٍّ
يَا كَمَدَ اللَّوْنِ يَنْطَفِي كَمَدًا مِنْ حَسَدٍ يَسْتَطِيرُ بِالشَّرِّ.
فلم يكن في قصائده سياسيا أو مؤرخا بل كان فقط إنسانا حنّ لوطنه وحياته السابقة:

كتب لأن الكتابة كما قال "كافكا": هي انفتاح جرح ما.
كتب للأأيادي الملطخة ببؤس حرب وغدر.
كتب للذين مضوا دون أن يغادروا.
كتب لهؤلاء الذين تحرشوا بالذاكرة.
كتب عن وجع تجدد وتمدد.
كتب لموت كان أكبر من قصيدة على قبر المعتمد بن عباد، أو على ضريح أبي الحسن المريني.

قصائد ابن الخطيب حيّة في ذاكرة الناس وقلوبهم، نلمس ابتكارا في المعاني واختيارا دقيقا للألفاظ، وبذلك استطاع أن يحصد في عصره لقب شاعر الأندلس والمغرب⁶⁵، وقد أشار إلى فضل قصائده حين قال: «وأنا أجلب القصيدة على جهة الإخمّاص، (المؤانسة) والتنشيط إذ فائدتها مع تمام الأمر وإحقاقه حاصلة لم ارتاد الآداب وكلف بالفضائل، وتشوف إلى الأنحاء البلاغية والمقاصد»⁶⁶.

القصائد التي لامسناها في هذه الدراسة، فيها الكثير من التودد، الاستعطاف والرجاء، أبعدت عن شاعرنا أسلوب المؤرخ المحترف الجامد، وضمت العديد من الأحداث والمواقف وحملت الكثير من التقلبات والهواجس في نفسية شاعرنا.

أولى قصائد ابن الخطيب في نفاضة الجراب، قصيدة في مدح شيخ هنتاة الذي أكرم وفادته⁶⁷، وهو عامر بن محمد بن علي⁶⁸ من قبائل مصمودة، من أقوى شخصيات الدولة المرينية في فترة حكم السلطان أبي الحسن المريني (731-749هـ/1330-1348م)، وابنه

السلطان أبي عنان فارس(749-759هـ/1348-1357م)، فقد كان جبل "هنتاتة" بالنسبة لابن الخطيب الملاذ الآمن، "يعصم من الطوفان ويواصل أمنه بين النوم والأجفان"⁶⁹

إذا جبل التوحيد أصبح فارغا فخير قير العين في دار عامر

والله ما تبلوه من سعد وجهة والله ما تلقاه من يمن طائر⁷⁰

وقد أسهب ابن الخطيب في وصف جبل هنتاتة، أثناء رحلته المسماة "فصل في ذكر جبل هنتاتة"، وصف ساكنته، طعامهم، وسمهم، وخبر لجوء السلطان أمير المسلمين أبي الحسن، وما تعرض له من خذلان كبير، «وتبرى أثره عميد العساكر منه»⁷¹ خذلان شرب كأس مرارته هو الآخر خبر تقلب الزمن وتغير الحال، أليس هو الحامل لذاكرة مؤرخ وله مثال في ذلك محنة المعتمد ابن عباد الأمير المنفي، وما آل إليه وعبر عنه بألم وحزن كبيرين، (نكبة بني عباد)⁷²، قبح الدهر فماذا صنعا....كلما أعطى نفيسا نزعا، كذلك ما وثقه أبو البقاء الرندي، (601هـ-668هـ/1204-1269م) الحكيم الشاعر والقاضي الأندلسي عن تقلب الأحوال، ونسج بحكمته أجمل القصائد لمن سره زمن ساءت أزمأن⁷³.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرِّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوْلُ مَنْ سَرَّهُ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

حمل ابن الخطيب في داخله ذلك الشعور بالخوف الكبير وأن الآتي فيه كثير من مفاجآت الرهيبة، ظهر ذلك في وصيته إلى أولاده بالحرص من غدر الزمان، «ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير الجهاد فلا يستهلكه فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار»⁷⁴، كان يتوجس ويتطير من أي حدث عارض، وهذا ما لمسناه حين تخلف شيخ هنتاتة، «عن المجالسة والمؤكلة معتذرا عن ألم مانع، نغص لدينا النعيم، وكدر الشرب تطيرا من وداعنا أو رهين شكاية»⁷⁵، هذا الخوف من المجهول عبر عنه في قصيدته التي انشدها يوم زيارة محل وفاة السلطان أبي الحسن المريني⁷⁶.

اللَّهُ أَيَّ قَبِيلَةٍ تَرَكْتَ لَهَا النُّصْرَ أَدْعُو الْفَخْرَ يَوْمَ الْفَخَارِ
نَصَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمُلْكُهُ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَزَائِمُ الْأَنْصَارِ
وَتَخَاذَلَ الْجَيْشُ لِلْهَامِ وَأَصْبَحَ الْإِبْطَالُ بَيْنَ تَقَاعُدٍ وَفِرَارِ

كُفِرَتْ صَنَائِعُهُ فَيَمَمَ دَارَهَا مستظهِراً مِنْهَا بِعَزِّ جَوَارِ
قَدْ كَانَ يَأْمَلُ أَنْ يَكْفِيَ بَعْضَ مَا أَوْلُوهُ لَوْلَا قَاطِعِ الْأَعْمَارِ
وكان "يأمل"، حتى ابن الخطيب كان يأمل أن يُقَدَّرَ أكثر وأن يكون أينما ارتحل بين
العدوتين محل تقدير ومحبة، بعيداً عن الوشاة والمتآمرين والحساد، الذين نالوا منه في
الأخير، ورسموا خطة سير نهايته ونكتبته الموقعة: حبس، خنق وحرق.
أَصْبَحْتُ فِي زَغَبٍ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا والماءُ شَرَطُ حَيَاتِهِمِ وَالسَّنْبُلُ
فَإِذَا سَمَوْتُ لِقَصْدِهِمْ لَمْ أَسْتَطِعْ وإذا اعتذرتُ إِلَيْهِمْ لَمْ يَقْبَلُوا⁷⁷
انتقل في رحلته إلى مدينة أغمات، واعتبر زيارته لقبر المعتمد بن عباد ملك إشبيلية،
وأحد ملوك الطوائف الذي نفاه المرابطون⁷⁸ من أولى المهمات⁷⁹ الغريب أن ذاكرة شاعرنا ابن
الخطيب مشحونة بأخبار من كانت نهاية حياتهم موقعة، رثاه بقصيدة من أعذب القصائد،
قصيدة لونها بكل أحاسيس الفقد، كلمات من قلب عليل إلا من خفق الوفاء، قصيدة لمن
مروا وتركوا وشما وألف ذكرى، كلمات عزفت وتر سراب الحياة، وسراب متعها وأن الموت
أول اليقين قصيدة مطلعها:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوَّعٍ بِأَغْمَاتٍ رَأَيْتَ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِي الْمَهْمَاتِ
لَمْ لَا أَزُورُكَ يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ طَوَّعاً يَدَاً وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمَذْلُومَاتِ
أَنَافَ قَبْرِكَ فِي هَضْبٍ يُمَيِّزُهُ فَتَنْتَحِيهِ حَفِيَّاتُ التَّحِيَّاتِ
وَأَنْتَ مَوْلَى تَخَطَّى الدَّهْرَ مَصْرَعَهُ إِلَى حَيَاتِي لَجَادَتْ فِيهَا أَبْيَاتِي
كَرُمْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاشْتَهَرْتُ عَلا فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتٍ⁸⁰
وفي قصيدة أخرى توسل، استعطف، تودّد ورغب للسلطان أبي سالم المريني (760-
762هـ/1360-1358م)، «والدكم الذي أتوسل به إليكم وإلهم (...)» بكتاب كريم يتضمن
الشفاعة في رد ما أخذ لي (...). وإذا تم هذا الغرض، ولاشك في إتمامه، تقع صدقتكم على
القبر الكريم»، قصيدة من البحر الكامل⁸¹

مَوْلَايَ هَا أَنَا بِجَوَارِ أَبْيَكَا فَأَبْدِلْ مِنَ الْبِرِّ الْمَقْدَرِ فَيْكَا
اسْمَعُهُ مَا يُرْضِيهِ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى وَاللَّهُ يُسْمِعُكَ مَا يُرْضِيكَ
وَاجْبُرْ بِجَبْرِ قَلْبِهِ تَنَلِ الْمَنَى وَتَطَالِعِ الْفَتْحَ الْمُبِينِ وَشَيْكَا

وإذا قضيت حوائجي وأريتني أملاً فربك ما أردت يريكا⁸²
وله قصيدة شبيهة بهذا المحتوى "التودد والاستعطاف" على منوال قصيدة أبي حنيفة
النعمان⁸³ مطلعها:

يا سَيِّدَ السَّادَاتِ جِئْتُكَ قَاصِداً أُرْجُو رِضَاكَ وَاحْتَمِي بِجَمَاكَ
أنا الطَّامِعُ بِالْجُودِ مِنْكَ وَلَمْ يَكُنْ لَابْنُ الْخَطِيبِ مَنْ الْأَنَامِ سِوَاكَ
هل كان هذا التوسل والاستعطاف المرفه للملوك أمرا سهلا بالنسبة لابن الخطيب؟
أليس له عذرا؟ وهو السفير الملقب بذي الوزارتين، (القلم والسيف)، ويقال له (ذو العمرين)
لاشغاله بالتصنيف في ليله، وتبدير المملكة في نهاره.

أجاب قائلا:

أيا راكِبَ الْبَحْرِ الْأَجَاغِ مُخَاطِرًا تَقَدَّمَ بِاسْمِ اللَّهِ مَرْسَاكَ وَمَجْرَاكَ
وَبَلَغَ أَمَانَاتَ الْمَشُوقِ وَلَا تَقُلْ تَرْحَلُ مَخْتَارًا لَعَلَّ لَهُ عِذْرًا⁸⁴
له عذرا حين زاد الحنين والشوق الجارف لغرناطة:
أَيَّامُ قُرْبِكَ عِنْدِي مَا لَهَا ثَمَنٌ لَكُنِّي صَدَنِّي عَنْ قُرْبِكَ الزَّمَنُ
حَطَطْتُ بَعْدَكَ يَا أَهْلِي وَيَا وَطَنِي رَحَلَ الْغَرِيبُ فَلَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
وَاللَّهِ مَا سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى أَحَدٍ يَوْمَا وَلَا رَاقٍ عَيْنِي مَنْظَرُ حَسَنٍ⁸⁵
يقول الناصري في محنته الأولى التي قدم فيها هو والغني بالله بن الأحمر في السادس من
محرم فاتح سنة إحدى وستين وسبعمائة: إنه «وقف وانشد السلطان أبا سالم، واستعطف
واسترحم بما بكى الناس شفقة له ورحمة»⁸⁶، وهو أشار لذلك بقوله:
بكينا على النهر الشروب عشية فعادا أجاجا بعدنا ذلك النهر.
كيف هو مذاق بكاء وزير صاحب قلم، شاعر، مؤرخ، طبيب، وجغرافي؟
شاعر هوى نجمه بعد علوه.⁸⁷

أكد ألم مرارته أكبر أعرق وأصعب، خاصة من عاش في النعيم وزال عنه بعد ذلك.
بكاء شاعر غادر وطنه مرغما، واكتوى بنار الغربة، (وقد يطول سفره من غير عودة)،
شعر بحسرة وحنين على نفسه وعلى بلده الذي فارقه؛ فهو الشاعر المغترب الذي سلب منه
كل شيء، هرب إلى حيث الأمن والاستقرار، تاركا ممتلكاته وذكرياته⁸⁸، ولكن حتى بعد فراره

من وطنه غرناطة، ظل فريسة الألم، عرضة للمكائد، وتآمر الحساد والوشاة الذين أوقعوا به، يقول في قصيدته⁸⁹:

مولاي هاضني الزمان وسامني جُورا وأنت هو الإمام الأعَدَلُ
أنسى على وفري ورَّوع مأمني ظَلَمًا وحمَلني الذي لا يُحمَلُ
ورمى بنا البحر المحيط ولو درى من دونه مرمى لقال لنا ارحلوا
إنّا قُتلنا بالنوى سيَّان مَنْ يُجلى عن الأوطان أو من يُقتل⁹⁰
وأنا الذي ما لي إليك وسيلة أذلي بها لعُلاك أو أتوسَّل
ما لي ولا لبني غيرك رحمة لكن عذري واضح لا يُجهل

جرعات الألم والفقد في حياة لسان الدين ابن الخطيب كثيرة، نلمسها في قصيدة مؤثرة أخرى في تأبين زوجته وأم أولاده، التي ماتت ودفنت بمدينة سلا، «في السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبع مائة طرقي ما كدر شربي ونقص عيشي من وفاة أم الولد، (...) في بلد الغربة، وتحت سرادق الوحشة، (...)؛ فجلت عليها حسرتي واشتد جزعي، (...)؛ فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة سلا، وصدر عني مما كتبت على ضريحها⁹¹:

زوع بآلي وهاج بلآلي وسامني الثكل بعد إقبال
ذخيرتي حين خائني زمني وعدتي في اشتداد أهوال
حفرت في داري الضريح لها تعللا بالمحال في الحضال
فانتظرتني فالشوق يقلقني ويقتضي سرعتي واعجالي
ومهدي لي لَدَيْكَ مضطجعا فعن قريب يكون ترحالي».

خلد بهذه الأبيات زوجته التي يبدو أنه كان يكن لها حبا كبيرا عميقا، لدرجة دفنها في داره بالقرب منه، لا في المقابر. هذا الحزن على فقدائها الممزوج بالكثير من الوفاء لحب لم ينقطع رغم بطش الموت، (حفرت في داري الضريح)، بل ظل بجانبه (القبر)، يحرسه وينتظر لقاءها في عالم آخر، (فانتظرتني فالشوق)، في عالم نقي بعيد عن هذا العالم السفلي، بعيد عن الحساد والمتآمرين، وبعيد عن عالم السياسة الذي عذب روحه، وأسكن فيها الكثير من الحزن والخوف وعدم الأمان.

بقصائده خلد شاعريته الكبيرة التي أكدها صديقه ابن خلدون⁹²: «وبلغ في الشعر والترسل، حيث لا يجازي فيهما»، بل هناك من أنعم عليه بوصف أنه شاعر الدنيا وكاتب الأرض إلى يوم العرض⁹³.

2.2- قصائد ابن الخطيب مصدرا أساسيا من مصادر الكتابة التاريخية : أشار الدكتور أحمد مختار العبادي في مقدمته لكتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب أن الكتاب مذكرات شخصية للمؤلف (أشرنا لذلك في الفقرة الأولى)، وبكل تأكيد مصدرا تاريخيا غنيا لما تضمنه من حقائق تاريخية؛ فقد دوّن ابن الخطيب ما رآه في رحلته من منشآت ومؤسسات دينية واجتماعية، كالمساجد والمدارس والزوايا⁹⁴، وأسماء من لقي من «أولي الدين والدنيا»، حيث زار أحد أولياء الله الصالحين وعباده المقربين في طريقه لمدينة أسفي الساحلية سجل:

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلى الفرقدان⁹⁵
وأشار كذلك إلى أسماء مجموعة من كبار العلماء والأدباء⁹⁶ الذين خاطبهم بالقصائد والرسائل، ومن العلماء الذين لقيهم: أبا ثابت عامر بن محمد، وأخيه⁹⁷، والوزير عماد الدولة أبي على عمر بن عبد الله الذي عدد مناقبه⁹⁸:

مَا أَسْعَدَ الْمَلِكَ الَّذِي سُسْتُهُ يَا عَمْرَ الْعَدْل، وَمَا أَسْعَدَكَ
وصاحب خطة العلامة الفقيه أبا سعيد ابن رُشَيْد:

فَكُنْ حَيْثُ اقْتَضَاهُ بِكَ اعْتِدَادِي وَشِدْ لِي مِنْ كَرِيمِ الرِّعَى مَبْنَى
فَقَى الْفِتْيَانِ أَنْتَ بِلا نِزَاعٍ وَمِثْلِي مَنْ وَفَى بِيَدٍ وَأَثْنَا⁹⁹
وحفيد الولي أبي محمد صالح (أشهر أولياء مدينة أسفي) أحمد بن يوسف¹⁰⁰
يَا حَفِيدَ الْوَلِيِّ يَا وَارِثَ الْفَخْرِ الَّذِي نَالَ فِي مَقَامٍ وَحَالَ
لَكَ يَا أَحْمَدَ بْنَ يَوْسُفَ جُبْنَا كُلَّ قَفْرٍ يَعْصِي أَكْفَ الرِّجَالِ

إضافة إلى ذلك، أرخت قصائد نفاضة الجراب لأسماء مدن منها ما استمر مثل مكناس وآسفي وسلا ومراكش، ومنها ما اندثر كمدن تامسنا وزقندر، أنفا، شالة وحصن القاهرة¹⁰¹.
نقل مؤرخنا ما لاحظته أثناء مروره أو استقراره بهذه المدن، ووصف الحالة التي أصبحت

عليها بعد توالي الحروب والفتن، وتراجع السلطة المرينية التي ضعفت قدرتها على ضبط البلاد.

أشار لمدينة "مكناس" حيث «فسدت طريقها، وسدت السبل إليها» بسبب فوضى الأعراب:

مَكْنَسَةُ حُشِرَتْ بِهَا زُمَرُ الْعَدَا فَمَدَى بَرِيدٍ فِيهِ أَلْفُ مَرِيدٍ

102 من واصل للجوع لا لرياضة أو لابس للصوف غير مُريد

كذلك أشار إلى مدينة كانت غنية بمعدن الفضة أثناء حديثه شعرا عن بعض أعلامها الشيخ الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الزقندري، المنسوب لمدينة "زقندر"، وهي من مدن معدن (الفضة) المغربية المندثرة:

سَأَلْتُكَ عَبْدَ اللَّهِ إِضْحَاحَ مَشْكَلٍ وَأَنْتَ لِكَشْفِ الْمُغْضِلَاتِ بِمَرْصَدٍ

103 زَقَنْدَرُ قَالُوا عَنْهُ مَعْدَنُ فَضْةٍ فَمَا بَالُهُ أَبْدَاكَ نُدْرَةَ عَسْجَدٍ

وعندما توسط بسيط "تامسنا" على البحر المحيط، وهي من المدن التي طمست معالمها الآن أنشد:

كَأَنَّا بِتَامَسْنَا نَجُوسٍ خِلَالِهَا وَمَمْدُودَهَا فِي سَيْرِنَا لَيْسَ يَقْصُرُ

مَرَائِبُ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ تَخَبَّطَتْ وَلَا جِهَةٌ تَدْرِي وَلَا الْبَرِّيْبَصِرُ

أشار لسان الدين بن الخطيب كذلك بعبارة وافية إلى ما تبقى من آثار بعض المناطق بعد تخریبها، مثل منطقة جبل هنتانة)، نتيجة الصراع الموحيدي المريني، «توجهنا إلى الجبل نساير الجهة ونشاهد الآثار»¹⁰⁴:

هَدَّتْ بِنَاءَهَا فِي سَبِيلِ وَفَائِهَا فَكَأَنَهَا صَرَعِي بِغَيْرِ عُقَارٍ

لَمَّا تَوَعَّدَهَا عَلَى الْمَجْدِ الْعِدَا رَضِيَتْ بِغَيْثِ النَّارِ لَا بِالْعَارِ

وقال في وصف ما حلّ بمدينة قصور وقصبة "مراكش": «واعتبر ما صار إليه حالها بعد الموحيدين» قال:¹⁰⁵

بَلَدٌ قَدْ عَزَاهُ صَرْفُ اللَّيَالِي وَأَبَاحَ الْمَصُونِ مِنْهُ مَبِيحُ

فَالَّذِي حَرَّمَ مَنْ بَنَاهُ قَتِيلُ وَالَّذِي حَرَّمَ مِنْهُ بَعْضُ جَرِيحِ

أَعْجَمَتْ مِنْهُ أَرْبَعٌ وَرَسُومُ كَأَنَّ قَدَمًا بِهَا اللَّسَانَ الْقَصِيحِ

كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ الْمَغَانِي وَجَمَالَ أَخْفَاهُ ذَاكَ الضَّرِيحِ

سَاكِن الدَّارِ رَوْحُهَا كَيْفَ يَبْقَى جَسَدَ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الرُّوحُ؟

وفي فصل "في ذكر العودة إلى مدينة سلا"، أشار لمدينة شالة، وابن الخطيب من قلة الذين ذكروا اسم هذه المدينة¹⁰⁶، "ثم كان الإرتحال إلى التربة المولوية المحترمة بشالة؛ فألقيت بها البرك، وحطت الرُّحُل، وفصلت الخطة"¹⁰⁷، (الكامل)¹⁰⁸:

مَوْلَايَ مَا اسْتَأْثَرْتُ عَنْكَ بِمُهْجَتِي أَنَّى وَمُهْجَتِي الَّتِي تَفْدِيكَ

لَكِنْ رَأَيْتُ جَنَابَ شَلَّةٍ مَغْنَمًا يُضْفَى عَلَيَّ الْعَرَّ فِي نَادِيكَ

تكمن أهمية الأشعار الموثقة بين ثنايا "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" فيما حملته لنا من حقائق تاريخية هامة عن بعض المدن المغربية؛ فابن الخطيب توقف وعاین، وتحسّر على الحالة التي وصلت إليها بعضها مثل مكناس ومراكش، كما أخبرنا عن أسماء أعلام وأولياء ووزراء وشيوخ خلدهم في قصائده، الأمر الذي أهل هذه القصائد لتكون مصدرا أساسيا من مصادر الكتابة التاريخية.

تحليل النتائج: كُتِبَ لسان الدين ابن الخطيب التاريخية هي في نفس الوقت كتب أدبية مليئة بالشعر والقصائد النفيسة؛ فطبيعته الأدبية تفرض نفسها عليه في كل عمل يقوم به، وبذلك أبان على علو كعبه في تطويع الأدب للسياسة والسياسة للأدب، وكتاب نفاضة الجراب الذي ألفه في منفاه في مدينة سلا، مليء بالعديد من القصائد عن تجربته الإنسانية الغنية والمؤلمة، وعما لاحظته أثناء مروره أو استقراره بعدة مدن مغربية، ووصفه للحالة التي أصبحت عليها بعد توالي الحروب، وتراجع السلطة المرينية التي ضعفت قدرتها على ضبط البلاد.

الخاتمة: اغتراب ابن الخطيب وارتحاله عن وطنه، وإحساسه بالحنين إليه وتعلقه به، جعل قصائده قصائد ألم، ولوم للحساد والوشاة، هي إخبار بما حل به من ظلم وغدر. قصائده تعبر عن مشاعره وتعانق عواطفه، وتصور نزعاته النفسية، وما تغلغل في الصدر من آمال وخيبة، وهي كذلك أرخت لما سجله أثناء تجواله بين مدن المغرب من حقائق تاريخية؛ فحضور الشعر في كتاب "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" يكتسي دلالة وظيفية هدفها إثارة الأحاسيس والعطف في نفسية المتلقي، وفي نفس الوقت شعره ذاكرة حاملة

لتاريخ فترة صعبة عاشها ابن الخطيب بين المغرب والأندلس، قصائده وديعة ناطقة حية، دائما مفتوحة على قراءات متجددة باستمرار.

الهوامش:

- 1- عبد الرحيم حزل- الشعر المفتري عليه بأيدي المؤرخين والمحققين: «التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات» نموذجاً-مجلة تاريخ المغرب- العدد الحادي عشر- مؤسسة درا ميديا الرباط -يوليوز/دجنبر 2021م-ص181.
- 2- عبد الملك بن صاحب الصلاة- المن بالإمامة- تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين- تحقيق عبد الهادي التازي- دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان- الطبعة الثالثة 1987م-ص48-49-76-80-81.
- 3- عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب- دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة-1994م-ص28. مولود عشاق، تاريخ المغرب وإشكالية المصادر، مطابع الرباط، نت2012م
- 4- مولود عشاق، التاريخ المغرب وإشكالية المصادر، مطابع الرباط نت، 2016م، ص63
- 5- عبد الملك بن صاحب الصلاة- المن بالإمامة-ص75-76-77-6- مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - حققه-سهيل زكار-عبد القادر زمامة-نشر وتوزيع-دار الرشاد الحديثة-الدار البيضاء-الطبعة الأولى1399هـ/1979م-ص166
- 7- العروبي عبد الله - مفهوم التاريخ- ج1- ص48-49-8- نفس المرجع- ص48-49-50.
- 9- لسان الدين بن الخطيب السلمي- نفاضة الجراب في علالة الإغتراب- نشر وتعليق أحمد المختار العبادي- مراجعة عبد العزيز الأهواني- دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985م.
- 10- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلمي- جمع وتحقيق محمد مفتاح- دار الثقافة الدار البيضاء المجلد الأول- الطبعة الأولى 1989م - ص215- كما حققه محمد الشريف قاهر، ونشر في الجزائر عام 1975م.
- 11- أحمد بن محمد المقرئ- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب- ج5، تحقيق أحسان عباس- دار صادر بيروت 1968م-ص8. أحمد بن محمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار أعيان- تحقيق سعيد أحمد أعراب-ومحمد بن تايوت - الناشر صندوق إحياء التراث الإسلامي بين الحكومة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة- الرباط 1978، ص186.
- 12- عبد الحليم حسين الهروط- موشحات لسان الدين بن الخطيب- دار جرير للنشر والتوزيع- عمان- الطبعة الثانية 2012م-1433هـ-ص9-13- مصطفى الشكعة- المغرب والأندلس- دار الكتاب اللبناني- بيروت-1399هـ/1978م-ص321.
- 14- لسان الدين بن الخطيب- اللوحة البديرة في الدولة النصرية- تحقيق: محمد زينهم- دار الثقافة والنشر القاهرة-1425هـ/2004م-ص104.
- 15- لسان الدين بن الخطيب الأحاطة في أخبار غرناطة ج2، القاهرة ص12-ابن خلدون، العبر، ج7، ص306-شاعر الفحاح-لسان الدين بن الخطيب-مجلة الثقافة-دمشق-العدد78-1990م-ص5.
- 16- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1421هـ/2000م، ج7، ص.
- 17- مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - ص5-6-7-8-18- محمد ابن شقرون- دور المغرب الأقصى في توحيد الثقافة بين دول المغرب العربي- مجلة الثقافة المغربية ع1- يناير- فبراير 1970-19-ابن خلدون-العبر-ج7-صص440 إلى 446.
- 20- المقرئ، نفح الطيب، ج5، ص105-21- ابن الخطيب- نفاضة الجراب- ص100-22- المقرئ- نفح الطيب-ج5-ص11.
- 23- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الطبعة الثانية، القاهرة، 1990م/1441هـ، ص104-24- أحمد بن خالد الناصري- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - تحقيق وتعليق- جعفر الناصري ومحمد الناصري-ج4-دار الكتاب-الدار البيضاء1418هـ/1997م-ص64.
- 25- ابن خلدون، العبر، ج7، ص638-خالد الناصري- الاستقصا -ج4-صص62 إلى 64- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-الإحالة رقم 1-ص265-26- المقرئ - نفح الطيب-ج5-صص113-115.
- 27- عبد الحليم حسن الهروط- موشحات لسان الدين بن الخطيب- دار الجرير للنشر والتوزيع الأردن-الط2- 2012- ص142-28-ابن خلدون-المقدمة-ص649-650-651-29-عنان محمد عبد الله-بين ابن خلدون وابن الخطيب- مجلة العربي-العدد 85-الكويت-وزارة الإرشاد-1385هـ/1965م-ص21-30- ابن خلدون، العبر- ج7-ص638-31-المصدر نفسه-ص638-639

- 32- محمد البركة-سعيد بن حمادة- السياسة السلطانية عند لسان الدين ابن الخطيب من خلال رسالته في أحوال خدّمة الدولة ومصانئهم- دار إفريقيا للنشر الدار البيضاء- 2013م.---33-مجهول الحلل الموشية- ص 181 .
- 34- أحمد بن محمد المقرئ- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض-ص189.---35- لسان الدين بن الخطيب- ربحانة الكتاب وتجميعه المنسوب-ج1تحقيق محمد عبد الله عنان، المطبعة العربية الحديثة-القاهرة، الطبعة الأولى-1400هـ/1980م.
- 36- تم جمع أشهر "موشحات لسان الدين ابن الخطيب" في هذا المرجع (دراسة وجمع)، عبد الحليم حسين الهروط- دار جرير للنشر والتوزيع- عمان الط-2- 2012م-1433هـ.---37- وائل أبو صالح، الجوّاري في الأندلس، منشورات دار القلم-رام الله-1985- ص.79.---38- جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف القاهرة- الطبعة الثانية 1966م-ص307.
- 39- ابن خلدون- المقدمة-ص.649.---40- عبد الحليم حسين الهروط- موشحات لسان الدين ابن الخطيب - ص23.
- 41- محمد بوذينة- أشهر الموشحات ومعارضتها- منشورات محمد بوذينة - الحمامات تونس- الطبعة الأولى 1944م- ص46.
- 42- مقدمة احمد مختار العبادي- محقق نفاضة الجراب، ص.4.---43- المصدر نفسه - ص4.
- 44- رضوان الرحالي - جماليات الغرض الشعري مقارنة موضوعاتية لشعر الشريف الرضي- سلسلة دراسات وأبحاث -5- مراكش- الطبعة الأولى-2019م- ص9.
- 45- محمد الشريف قاهر- لسان الدين ابن الخطيب وراثته الفكرية-مجلة الأصالة-العدد 26-الجزائر-وزارة التعليم والشؤون الدينية-1395هـ/1975م-ص234.
- 46- لسان الدين بن الخطيب السلمي- أعمال الأعمال فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق ليفي بروفنسال-دار المكشوف- بيروت-1956م/1376هـ-ص313.---47- عبد الله العروي- مفهوم التاريخ- ج1 ص42.---48- ابن الخطيب- نفاضة الجراب- ص63.---49- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني-نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب-حققه محمد محي الدين عبد الحميد-الجزء الثامن-مطبعة السعادة-مصر-الطبعة الأولى 1949م-ص322.
- 50- ابن الخطيب- نفاضة الجراب- ص11.---51- ابن خلدون-العبر-ج7-ص4-الناصري-الاستقصا-ج4-ص27.
- 52- عبد الله العروي-مجمع تاريخ المغرب-ج1-ص13.---53- مولود عشاق، تاريخ المغرب وإشكالية المصادر، ص63.
- 54- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-ص110.---55- المصدر نفسه- محقق نفاضة الجراب، ص7.---56- المصدر نفسه-ص79.
- 57- ابن خلدون، العبر- ج7- ص440-591.---58- المصدر نفسه - ص440.---59-المقرئ-نفع الطيب-ج5-ص357.
- 60- عبد الحليم حسين الهروط، موشحات لسان الدين ابن الخطيب، ص21.---61- ابن الخطيب- نفاضة الجراب، ص96-99.---62- ابن خلدون العبر- ج7-ص408.---63- ابن خلدون - المقدمة - ص650-651.
- 64-عبد العزيز قفيلة- خط سير الأدب العربي- دار الفكر العربي- القاهرة 1990م-ص466.---65- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-ص287.---66- المصدر نفسه، ص45.---67- المصدر نفسه، ص45.---68- ابن خلدون-العبر-ج7-ص300-317.
- 69- ابن الخطيب -نفاضة الجراب-ص45.---70-المصدر نفسه- ص44.---71-المصدر نفسه- ص48.---72- عبد الواحد المراكشي-المعجب- صص122 إلى 130.---73- بشير شحادة- أبو البقاء الرندي الشاعر والقاضي الأندلسي-المجلة الالكترونية-تاريخكم- 2020/09/10 www.taree5com.com/%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%82%D8%A7%
- 74 أحمد بن محمد المقرئ -نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب-تحقيق احسان عباس-بيروت دار صادر-1388هـ/1968م-ج2-ص425.---75-ابن الخطيب - نفاضة الجراب- ص51.---76-المصدر نفسه- ص52-53-54.---77-المصدر نفسه، ص297.---78- عبد الواحد المراكشي-المعجب-ص122-136-137-138-139.---79- ابن الخطيب - نفاضة الجراب- ص57.---80- المصدر نفسه-ص57.---81- المصدر نفسه-ص84.---82-المصدر نفسه -ص85-86.---83- موقع كتارا- تجمل "الشعر بخير البشر"- 15 سبتمبر 2018م.
- www.katarapoet.com/ar/%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%8A%D8%A7-%D8%B3
- 84 - ابن الخطيب-نفاضة الجراب-ص182.---85- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-ص189.---86-الناصري-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى-ج4-ص9.---87- مها روي إبراهيم الخليفي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة 635-897 هجرية كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، 2007م، ص116.---88-المرجع نفسه، ص104.

- 89- نقل المقرري جزءاً من هذه القصيدة في كتابه نفع الطبيب(ج9، ص182-183)وقد قدم لها بقوله:قال لسان الدين رحمة الله تعالى :نظمها للسلطان أسعده الله، وأنا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس، سميتها "المنح الغرب في الفتح القريب" ابن الخطيب-نفاضة الجراب، أحواله رقم (3)، ص287.-----90- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-ص269-297.
- 91 - الناصري-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى-ج4-ص205.-----92- ابن خلدون-كتاب العبر-ج7-ص332.
- 93- ابن الأحمر - نثر فوائد الجمان في نظم فحول الزمان - تحقيق:محمد رضوان الداية-القاهرة-دار الثقافة-1981م/1403هـ ص243.-----94- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-ص72-170-312-320.-----95- المصدر نفسه-ص58.-----96- المصدر نفسه-ص374.
- 97- المصدر نفسه-ص58.-----98- المصدر نفسه-ص346.-----99- المصدر نفسه-ص352.-----100- المصدر نفسه-ص70.
- 101- المصدر نفسه-ص79.-----102- المصدر نفسه-ص328.-----103- المصدر نفسه-ص62.-----104- المصدر نفسه-ص45.
- 105- الناصري- الاستقصا -ج4-ص16-نفاضة الجراب-ص380.
- 106- يعتبر موقع شالة الأثري من أهم المعالم الأثرية بالمغرب الأقصى، فشالة حاضرة فينيقية ورومانية وإسلامية.أكسبها موقعها استراتيجي على مصب نهر أبي رقراق في المحيط الأطلسي، قبالة مدينة سلا وبمحاذاة مدينة الرباط أهمية كبيرة على مر العصور الدرة اليتيمة في وصف مدينة شالة الحديثة والقديمة لابن علي الدكالي، 1868م/1945م، دراسة وتحقيق عيبر فهد شذود، طبع وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2012، ص7.
- 107- ابن الخطيب - نفاضة الجراب - ص81.-----108- ابن الخطيب-نفاضة الجراب-، ص85-86.